الأدب في عهد الخلافة

احمد بن عبد ربه ، حياته وشعره:

هو احمد بن عبد ربّه المكنى (أبو عمر) ولد في قرطبة عاصمة الأندلس سنة(٢٤٦هـ) وتلقى العلوم على يد شيوخ عصره فدرس الفقه والتاريخ ثم عني بممارسة النظم والكتابة وأدام النظر في كتب المشارقة ويعتقد بعض الباحثين أن ابن عبد ربه رحل إلى المشرق وانه أفاد من ذلك في توسيع دراسته وتعميق العلم وتقوية الاتصال بثقافة المشرق كما يذكر ذلك الدكتور احمد هيكل في كتابه (الأدب الأندلسي) ويبدو من أخبار ابن عبد ربه وأشعاره في مرحلة فتوتة وشبابه انه ميال إلى اللهو ولكنة لم يكن ماجنا، اتصل ابن عبد ربه بأمراء بني أمية في أواخر القرن الثالث ومدحهم ونال عطاءهم كما انه أدرك حكم عبد الرحمن الناصر وفي هذه المرحلة تحول الحكم من نظام الإمارة إلى نظام الخلافة وكان ابن عبد ربه أديبا،بارعا،متعدد الجوانب،فهو شاعر، وكاتب، ومؤلف بارز،ويعد كتابه (العقد الفريد) معرضا لأدبه وذوقه فقد انطوى على مقاطع نثرية أسماها (الفرش) وكان يدلي بالإشعار التي يذكرها للآخرين كما انه نظم كتابه على أبواب وكل باب من هذه الأبواب عرف باسم (جوهرة من الجواهر على عادة الأندلسيين في حب الزينة وإيثار الترف وقد جنح الشاعر إلى العزلة والعبادة بعد أن شاخ على غرار ما جنح إليه من قبل يحيى الغزال في الأندلس وأبو نؤاس في المشرق توفي أبن عبد ربه عام (٣٢٨ هـ) ويعد في نظر مؤرخي الأدب أول شاعر كبير في الأندلس وقد اتسم أسلوبه الشعري بالعذوبة والرقة وقرب المأخذ . ولعل أول مرحلة من حياة ابن عبد ربه في شعره مرحلة الشباب ففيها أنه لا يوغل في المجاز ولا يغوص على المعنى وهو ينظم برشاقة وخفة ومن هنا كانت عبارته ترق في الأسماع من دون أن يكون وراءها معنى عميق ومن هذا القبيل قوله

يالؤلؤا يسبي العقول أنيقا

ورشاً بتقطيع القلوب رفيقا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله

درأ يعود من الحياء عقيقا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه

أبصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقة

ما بال قلبك لا يكون رقيقا

ففي هذه الأبيات يذكر الشاعر ألفاظ الزينة التي تنم عن ميل الأندلسيين إلى التجمل بالزينة والحلي ولعل ما يلاحظ فضلا عن ذلك تلك الفتاة الأندلسية المولدة ببشرتها البيضاء التي شبهت باللؤلؤ ولم تلبث من الحياء أن تغدو متوردة كالعقيق أما أثر الصنعة فيبدو واضحاً من خلال حرص الشاعر على التصريع حتى في المقطعات وذلك بيّن في قافية المطلع والمجانسة بينهما وكذلك المطابقة بين الدر والعقيق ثم إيراده لهذا الطباق الذي يقوم على التضاد بين رقة خصر الحبيب وعدم رقة قلبه.

وهنالك شاهد أخر تتجلى فيه السهولة واليسر في اللفظ والقافية كما في قوله :

أعطيته ما سألا حكمته لو عـــــدلا

وهبته روحي فما ادري به ما فعـــــلا

قلبي به في شغل لا ملّ ذاك الشُغلا